عبد العزيز جنگيز خان

بقلم
رحمة الله احمد رحمتي

بيد وان التركستانيين في بلادهم تركستان الشرقية، التي يجثم عليها التنين الاصفر ، ويكتم انفاسهم بسمومه ووحشيته، لا يتمكنون بقسوة الاستعمار الصيني المعادي لحرية الرأي والفكر، ان يكتب احد منهم عن ابطالهم ورجالهم وعلمائهم، الا بالقدر الذي يخدم الحكم الاستعماري .. اما من كان له خدمة الاسلام والمسلمين والدفاع عن حقوق البلاد المسلمة المغتصبة.. فالحديث عنه محظور ويعاقب كاتبه بالخيانة العظمى بحكم القانون الصيني الذي لم يترك ثغرة في تشديد القسوة على انفاس الشعب المسلم .. وهل هناك وحشية اكثر وظلم افظع من ان يفرض على الناس ما يكرهونه فيجبرون على مدح الخونة من اذناب الاستعمار ويحرمون من تكريم زعمائهم .. المجاهدين عنهم .. والمدافعين عن حقوقهم المشروعة، ومن الذين يحرم الصينيون ذكرهم، ولا يزال التركستانيون الاحرار يمجدونه ، هو الشيخ عبد العزيز عاشور جنكيز خان العالم الاديب المجاهد الكبير.

فقد حاولت معرفة تاريخ ميلاده، ولكن لم يتوفر لدى مرجعا يوضح تاريخ ميلاد مترجمنا ، ولعل من معارف الفقيد . من يفيدنا بتاريخ مفصل عن طفولة المرحوم ويثبت لنا تاريخ ميلاده وكذلك تاريخ وفاته اذ لا يزال ذلك مجهولا ، فالمعلوم والمؤكد ان حكومة الصين الشعبية القت القبض على ١٣٥٦٩ شخصا

خلال عامى ١٩٤٩-١٩٥١)كما جاء ذلك فى حديث شولى جين Shu Li-chin السكرتير الثانى للحزب الشيوعى فى اورومجى عاصمة تركستان الشرقيـــــــة فى ٢٨ ابريل ١٩٥١، وكان فقيدنا ضمن هذا العدد الهائل من المسجونين الذين كانت اسلاميتهم ووطنيتهم سببا فى اعتقالهم واضطهادهم ، ثم اعدمت الحكومة الصينية عددا منهم امثال الزعيم عثمان باتور والشيخ احمد خوجه وعبد الغفـــور صابر خوجه اومات الكثيرون منهم من قسوة الاعمال الشاقة فى السجن مثل الشيـخ عبد الكريم مخدوم وقربان قودای اكما تمكن بعضهم من الهرب والفرار الى الاتحاد السوفياتى من امثال ضياء صمدى وغنى باتور . واما فقيدنا فقد كان ممن قضـــى نحبه فى السجن ، ويحتمل ان يكون وفاته فى عام ١٩٥٨ ، حيث يشير الشيخ عيسى البتكين الى ان اسمه قد ورد فى جريدة حائطية بتاريخ ٢٠ / ٥ / ١٩٥٨ ضمـن اشخاص يقودون الحركات الوطنية .

ويتضح مما كتبه المعنى عن نفسه فى مقدمات كتبه بان والده الشيخ عاشور داملا توفى فى صغره، وكان قاضيا لمدينة بگورا التى تقع فى وسط تركستان الشرقيـــة وتباهى بها بقوله :

بكـور جنـة الخلـــد وفيها موطـــن المجـــد
ومنها مشرق العلـم يرينا مطالع السعـــــد
زكت روضـا وافضانـــا بلا حصـــر ولا عـــــد
وفيها نهـــر دينـــار سقى الاوطان بالشهد

وتلقى تعليمه الابتدائى على يد والده وعلماء بگورا ثم انهى دراسته التقليدية فـــى

كاشغر، وعمل برهة في بگور، وذهب بعدها الى نانكين عاصمة جمهورية الصين حينذاك، وتلقى بعض العلوم العصرية في المعهد السياسي المركزي، ثم رحل الى الهند، حيث اتصل ببعض علمائها، ودرس في بعض مدارسها، وفيها طبع مؤلفه الاول، وهو (تيغ ترگاني برجكر قاديانى) منظومة باللغة الفارسية في الرد على فرقة القاديانية في عام ١٩٣٥ . ومع ما حصل عليه المترجم له من مختلف العلوم والفنون في تركستان والصين والهند، فان ظمائه وشغفه بالعلم وخاصة بالعلوم الاسلامية والعربية دفعه على السفر الى مصر للالتحاق بالازهر الشريف عام ١٩٣٨، وفي عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م ادى فريضة الحج .

وفي القاهرة قضى الفقيد جل اوقاته بين الدراسة والمطالعة والتأليف، وهي ازهى فترة حياته عطاء وكتابة، وخاصة بعد ان عقدت المعرفة صلتها مع الشيخ صاوى الشعلان من علماء الازهر ، والف معظم كتبه وطبع بعضها في مصر، ومما كتبه في القاهرة ما يلي :

(١)	اركين تركستان	تاريخ تركستان باللغة التركستانية
(٢)	اولوغ تركستان	جغرافية تركستان باللغة التركستانية
(٣)	كوزل تركستان	ديوان شعر باللغة التركستانية
(٤)	تورکجه قران	ترجمة معاني القرآن باللغة التركستانية
(٥)	تورکجه تجويد	تجويد باللغة التركستانية
(٦)	اويغور صرفى	في علم صرف اللغة الاويغورية وطبع في القاهرة عام ١٩٣٩
(٧)	اويغور نحوى	في علم نحو اللغة الاويغورية

(٨) الاسلام فى تركستان فى تاريخ الحضارة الاسلامية فى تركستان باللغة العربية

(٩) تاريخ الادب التركى فى تاريخ الادب التركستانى

(١٠) تركستان الخالدة فى تاريخ تركستان (مجلدان)

(١١) تركستان قلب آسيا فى تاريخ تركستان طبع فى القاهرة سنة ١٩٤٥

(١٢) صوت الوجدان والحنين الى تركستان .. مجموعة شعرية فى حب الوطن والمديح طبع فى القاهرة سنة ١٩٤٤

ولكن مع الاسف لم يتمكن الفقيد طبع كتبه كلها فى مصر، فقد طبع ثلاثة منها فقط فى القاهرة وفضل ان يعود بمخطوطات المؤلفات الباقية الى بلاده لكى يطبعها فى مناطق التوزيع وتكون فى متناول القراء اصحاب الشأن. وخاصة قد علم بمكاسب الثوار التركستانيين السياسية فى عام ١٩٤٦ (وتشكيل جمهورية تركستان الشرقية، فعاد الى تركستان الشرقية وتولى برعاية الشيخ عيسى يوسف البتكين رئاسة مركز الثقافة الاويغورية، وجمعية الأويغور، واصبح مدرسا لمواد التاريخ الاسلامى والعلوم الدينية فى معهد المعلمين العالى فى اورومجى. ويبدو ان اضطراب الاوضاع السياسية التى عصفت بالبلاد قبيل الحكم الشيوعى لم تتح للفقيد فرصة الأهتمام بمؤلفاته وطبعها ونشرها على الملأ، اذ لم يظهر شئ من كتبه التى سبق الاشارة اليها فى هذه الفترة. ولا يعرف مصير مخطوطاتها مع انها ذات قيمة كبيرة ومنفعة عظيمة، وبالاخص كتابه تركستان الخالدة الذى يمتدحه كثيرا الشيخ صاوى الشعلان لاهميته فى تاريخ تركستان، وكان الفريد فى نوعه باللغة العربية، وكذلك كتابه (اركين تركستان) باللغة التركستانية. وعندما احتل الشيوعيون تركستان الشرقية فى ١٩٤٩/٩/٢٦، واضطر بعض الزعماء منهم المرحوم محمد امين بوغرا

والشيخ عيسى يوسف البتكين على الهجرة منها ، رافقهم المرحوم عبد العزيز جنكيزخان برغبة الهجرة معهم ، ولكنه رجع الى بلاده من كوكات في حدود كشمير ، ولعله فضل الحياة في موطنه بدلا من التشرد ، وشعر بافضلية العمل الوطني من داخل البلاد في مواجهة الاعداء . . وكان له ما اراد وخر شهيدا فريضة الجهاد والواجب الوطني.

ويظهر من مؤلفات المرحوم انه انتهج لخدمة وطنه وامته اربعة سبل هي :

اولا : التوعية الدينية والتثقيف الاسلامي لابناء جلدته ووطنه ، فعمل مدرسا في مدارس بلدته ، ثم قدم الى مصر لاستكمال تعليمه العالي في جامعة الازهر ، وعاد منها الى وطنه ، وعمل مدرسا لمواد التاريخ الاسلامي والعلوم الدينية في معهد المعلمين العالي في اورومجي ، وكان يحفظ القرآن الكريم ، ويؤم ويخطب في جماعة المسلمين ويرشدهم الى احكام وتعاليم دينهم في السلوك الاجتماعي والاخلاق العامة . ومع ذلك كان يرتدي الملابس الاوروبية ويظهر بمظهر الرجل الحديث مما يدل على عمق تأثره بحركة (الاخوان المسلمون) في مصر .

ويعتبر الفقيد من اوائل العلماء التركستانيين في معالجة التيارات والمذاهب الهدامة التي منيت بها الامة الاسلامية في زعزعة ايمان ابنائها وتشويش صفاء عقيدتها ، فوضع كتيبه (تيغ تركاني برجكر قاديانى) وهي منظومة باللغة الفارسية في الرد على فرقة القاديانية في الهند سنة ١٩٣٥ ، وقد الف هذه القصيدة باللغة الفارسية حتى يستفيد منها علماء المسلمين في الهند وافغانستان وايران ، وكذلك في تركستان الشرقية والغربية لان اللغة الفارسية كانت تعتبر اللغة العلمية الثانية بعد العربية في تركستان كلها قبل الاحتلال الشيوعي .

ثانيا : اللغة الأويغورية وهى اللهجة التركستانية لمسلمى تركستان الشرقية، فقد اهتم الشهيد بها والف لها ثلاثة كتب قيمة ولكن لم يطبع منها الا كتابه (الويغورصرفى) فى علم صرف اللغة الاويغورية فى القاهرة عام ١٩٣٩ .. ويشير فى مقدمة كتابه الى غايته للاهتمام باللغة فيقول : ان بقاء وتطور كل شعب يتم بتمسكه بثقافته ولغته . . وان الأويغور كانت لهم مدنية مجيدة وادب راق ولكن بعد الاحتلال الاجنبى تعرض الأويغور الى مصائب ونكبات وسياسة تفيير وتخريب لغتهم، التى تستهدف استئصالهم، وان هذه السياسة الاستعمارية قد اثرت فى اللغة الأويغورية، فتشوهت، وفسد نقاءها الاصلى، وذلك بدخول مفردات غريبة وتراكيب اجنبية فيها

وهكذا يوضح الفقيد ماآلت اليه اللغة الأويغورية فى ظروف الاحتلال الصينى، واهمية المحافظة عليها نقية صافية لا ن فى ذلك حفظا للامة من الاندثار والزوال والانصهار الثقافى .

ثالثا : كما اشار جنكيز خان الى اهمية التمسك باللغة الاويغورية للمحافظة على الشعب التركستانى من سياسة التصيين والتذويب، التى تمارسها الصين للقضاء على المسلمين التركستانيين، فهو لم ينس ايضا اهمية التاريخ فى تعريف افراد الشعب التركستانى بتاريخه واحداثه التى صنعها اجداده، وهو ينبه الشباب الى المخاطر التى تتعرض لها امته من الاحتلال الاجنبى، ويشير فيهم الهمم لدراسة الحضارة والمدنية التى ساهم اباءهم فيها، فوضع فى هذا الميدان عدة كتب، وكان يأمل

ان يطبعها في بلاده تركستان الشرقية، حتى تكون في مواقع التوزيع والانتشار بين التركستانيين . . ولكن سياسة الاستعمار الحاقدة وبطشه حال دون ذلك، بل ادى الى فقدان اصول تلك الكتب، واستشهاد صاحبها، ولم يبق منها الا ما طبع في القاهرة عام ١٩٤٥، وهو كتاب (تركستان .. قلب آسيا) وتطرق فيه الى مراحل التاريخ التركستاني بايجاز وهدف الى تعريف العرب بتاريخ تركستان ماضيها وحاضرها ، ولكن هذا الكتاب اصبح لابناء التركستانيين انفسهم مرجعا لمعرفة تاريخ بلادهم .

ويقول الشهيد في مقدمة كتابه " على المرء في هذه الدنيا واجبات ترتبط بذمته وتتحقق بها سعادة دنياه واخرته واهمها في حياة الشخص واجبان . . واجبه الديني وواجبه الوطني . . ولقد كنت منذ نشأتي اشعر بايمان عميق يدفعني الى اداء هذين الواجبين ، فرأيت ان خدمة بلادي تعد وفاءا وقياما بحقهما في وقت واحد .

وذكرت انني اذا وفقت الى اخراج كتاب باللغة العربية في تاريخ تركستان، فقد خدمت الدين والوطن وارضيت الله والامة .

ان تاريخ الترك لن يعرف منفصلا عن تاريخ الاسلام، كما ان الاسلام لا يمكن استيفاء عصوره واجياله بحثا واستقصاء بغير تاريخ الاتراك ، فكلا التاريخين مرتبط بالآخر ومتمم له . فهما كالروح والجسم لا ينفصلان، وكالنور والحرارة لا يفترقان " .

رابعا: كما اهتم الفقيد بالدين واللغة والتاريخ، فهو لم يغفل دور الادب في

اثارة العاطفة والوجدان فى النفوس وتحريك المشاعر الوطنية والاحاسيس القومية، فنظم جنكيز خان جملة قصائد باللغتين العربية والايغورية فى حب الوطن، وتصوير مشاهده ومناظره الخلابة، والتغنى بمفاخره ومجاده. كما وضع كتابا فى تاريخ الادب التركستانى ودراسة نصوصه ونماذجه. بيدان الذى طبع منها هو ديوانه العربى (صوت الوجدان والحنين الى تركستان) فى القاهرة عام ١٩٤٤ ويقول عنها هم مافى ديوانه: " هذا صدى الحنين والخلاص، وهذا صوت تتناجى به الاشواق فى قلبى الخفاق، وهو الوطن المحبوب ترتسم صورته فى هالة من النور فيهيج مكامن الشعور، فيجرى القلم فى هذه الصحائف بما احتوت من سطور.

طالت الغربة عن مسقط رأسى ... ولا تبارحنى ذكريات تركستان، وفى ساعة من ساعات التفكير، وجدت هذه الذكريات يتحول نشرها فى نفسى الى اشعار منظومة كانما اراد الخيال ان ينقل البيوت الى نظم الابيات .. فاتيح لى التغنى بهذه القصائد والرباعيات فى امجاد تركستان ورجالها، وما افاد الاسلام من ابطالها، وينشد الفقيد فى رباعياته قائلا :

ارونى فى العلا نظم اللائى لاهديها الى وطن انمعالى
ديار شيدت للمجد صرحا رفيعا مشرقا مثل الهلال

اضائت بالهدى نهج السعود كمثل الشمس لاحت فى الوجود
وان بلاد تركستان دوما تسامت للرقى والخلود

بها العمران كان لها ازدهار وفيها العز دوما والفخـــار
لها فى العلم والاداب نـــور يضئ الصبح منه والنهـــار

هم نشأوا على الاسلام شعبـا وزاد رقيهم شرقا وغربـــا
ومازال الزمان بهم حفيـــا يشيد بفضلهم سلما وحربـا

حديث المصطفى عالى المنـار بتركستـان مرفوع النجـــار
فهذا الترمذى وذ النسائـــى اميرالمؤمنين هوالبخـــارى

هذا مقتطفات من حياة عبد العزيز عاشور جنكيز خان، احببت ان اقدمها نموذجا لرجال كان ايمان بالله عز وجل ثم حبهم بالوطن نورا يستضئ به شبـــاب اليوم فى مسيرتهم الوطنية وعزما وقوة تثير فيهم العزم والهمم لما يجب ان يعمله ابناء تركستان لانقاذ بلادهم وحفظ كيانهم من سياسة الاستئصال التـــى يمارسها الاستعمار فى تلك الديار الاسلامية المغتصبة، ولعل بعض القـــراء ممن لهم الاهتمام فى هذا الموضوع او ممن يعرفون عن الفقيد يقدمون لنا معلومات اوفى وترجمة لحياته اكثر تفصيلا وتوضيحا .

والله من وراء القصـــد ،،،

ع/ع

٣/٢٧

المصـــادر

Turan,A.Şekur,: Abdulaziz Makdum Çingizhan ve Şahadeti(١)
Erçiyes, Temmuz 1982, Sayi :55, s.26-27

(٢) عبد العزيز مخدوم جنكيز خان
اويغور صرفى المطبعة المربوية ـ القاهرة ١٩٣٩ صـ ٤٠

(٣) محمد تواضع
الاسلام والصين ـ الاخوان المسلمين ـ القاهرة ١٩٤٥ صـ

(٤) عبد العزيز عاشور جنكيز خان
تركستان . . قلب آسيا ـ الجمعية الخيرية التركستانية ـ القاهرة ١٩٤٥

(٥) عبد العزيز جنكيز خان
صوت الوجدان والحنين الى تركستان ـ القاهرة ١٩٤٤

(٦) عيسى يوسف البتكين ،ترجمة : اسماعيل حقى شن كولر
قضية تركستان الشرقية . . . . موسسة مكة للطباعة والاعلام ، مكة ١٣٩٨هـ

٤/٤

٣/٢٧